الاستجابة البليغة لخطاب التّحقير والعنصريّة
استجابات الجمهور لمقالات الهندي عزّ الدّين حول "ست الشاي"

د.يوسف رحايمي، جامعة تونس، تونس

rhaimi.yousef@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/13	تاريخ القبول: 2023/06/16	تاريخ النشر: 2023/07/30

Abstract

This article touches upon "the rhetoric of audiences" as a resistant eloquent to authoritarian rhetoric. Which is in pursuit of establishing an alternate awareness, trying to support the lofty goals and building a rhetorical immunity that enables the audience to resist and reject hostile rhetoric. Therefore, it delves into the audience's responses to contempt rhetoric using some reactions to what Sudani journalist, Al Hindi Izz Addeen, has written about what is known as "The Girl of Tea" as a search space owing to that this critical space contains enticing content to research. Especially since it offers public rhetorical awareness which stands in the way of authoritarian rhetoric represented in contempt and racism.

Keywords: Rhetoric of Audiences, racist discourse, Demeaning, Rhetorical response, the irony.

ملخص البحث

يَنخرط هذا المقال في سياق "بلاغة الجمهور" بوصفها بلاغةً مقاومةً للخطابات السلطويّة، والسّاعية إلى تأسيس وعي مغاير يحاول أن ينتصر إلى الغايات النبيلة وبناء مناعة تخاطبية تُمكّن الجمهور من مقاومة ورفْض الخطابات المعادية. ولذلك يتّجه نحو النّظر في استجابات الجمهور لخطاب التّحقير والعنصرية متخذًا من ردود أفعال البعض عمّا كتبه الصحفي السّوداني "الهندي عزّ الدين" حول ما يُعْرَف "بست الشاي" فضاءً للبحث نظرا لما احتوته هذه

المساحة النقديّة من مادة تُغري بالنظر لاسيما فيما تقدّمه لنا من وعي بلاغيّ جماهيري يقف عقبة أمام الخطاب السلطويّ متمثلاً في التّحقير والعنصرية.

الكلمات المفاتيح: بلاغة الجمهور، الخطاب العنصريّ- التحقير- الاستجابة البليغة- السّخرية.

مقدّمة:

لقد مثّل بروز بلاغة الجمهور[1] فرعًا في علم البلاغة الحديث والموسّع تحولاً معرفيا مهمّا، نظرا لكونه فتح لنا آفاق التّحليل وأعاد النَّظر في كثير من المسلّمات البلاغية القديمة، هذا فضلاً عن كونه أعاد النّظر في مهمة القول البلاغي في علاقته بالإنسان كجوهر في الوجود. ولعلّ أهم ما يُمكن أن نشير إليه في علاقة بهذا الفرع أنّه قدّم أدوات عمل جديدة قلبت ناصية القول البلاغي في يد المخاطَب (الجماهير، السامع، المتلقي) ليمارس فعله ويبدي برأيه ويحلّل وينقض ويبرم، بعد أن استحوذَ عليها المتكلّم لسنوات، وهو فهمٌ عائد إلى كون بلاغة الجمهور ترتكز أساسا على الأدوار التي يلعبها المخاطَب في بناء القول البلاغيّ وخاصة في دفعه للخطابات السلطويّة، وهذا أبرز ما نادت به، حيث أصبحنا نتحدّث عن بلاغة المخاطَب التي فتح أبوابها الباحث عماد عبد اللطيف.

في هذا الإطار الجديد الذي وسّعت أفقه بلاغة الجمهور يمكن لنا اختبار الكثير من الرّهنات التي أخذتها على عاتقها، ولعلّ من أهمها مقاومة الخطابات السلطويّة التي ما فتئت تمارسها المؤسّسات والأشخاص على ذي القول الضعيف، ويندرج هذا طبعًا في سياق الأهداف النبيلة التي رسمتها بلاغة الجمهور، «فتوجهها التداخلي أو النقدي بمفهوم التحليل النقدي للخطاب، يجعلها تقف في صفّ المظلومين والمقهورين وخاصة الفئات المضللة من لدن من يمتلكون السلطة، إنها بلاغة تسعى إلى إزالة الوهم لدى الناس»[2]. وهنا يأتي القول فيما نحن بصدد الحديث عنه ألا وهو خطاب العنصريّة والتّحقير الذي يمارسه البعض في كثير من المجالات. ويهمنا هنا رصْد ضرب من الخطابات السلطويّة التي تتخذ من المقال مطية في التَّعبير، وعليه فنحن لا نباشر- في هذا المقال- خطابا مقتضبًا أو صورة أو تغريدة وإنّما نعاين

مقالاً صحفيا مكتوبًا ومتصدرا في مواقع الكترونية وافتراضيّة، وهذا ربما سيفتح الباب أمام الباحثين العرب للتعاطي مع هذا الصنف من الخطابات، وابتكار أدوات عمل لتفكيكه.

بناءً عليه سنعمل في هذا المقال على تبيّن خصائص الاستجابة البليغة[3] وأهم تمظهراتها في الخطاب مؤكّدين على قدرة الجماهير (العامّة والخاصّة) على التصدّي للخطاب العنصريّ التّحقيري بوسائل تنتمي إلى خانة الفعل اللغويّ حينا وإلى خانة التلميح والتلويح والكاريكاتير حينا آخر. وقصدنا بالاستجابة البليغة في هذا الإطار جلّ «العلامات اللغوية وغير اللغوية، ينتجها المخاطَب في سياقات التواصل الفعلي أو الافتراضي بهدف مقاومة الخطابات السلطوية»[4]. ولمّا كانت جلّ هذه الاستجابات موجودة في مواقع التواصل الاجتماعيّ وعلى المواقع الالكترونية فإنّنا سنعمل على جمع نماذج متفرّقة نعاين من خلالها كيفية التّعامل مع هذا النوع من الخطاب. وقد صنّفنا التّعامل معها وفق وجوه تشكّلها بيْن عِبر ونصائح وحِكم وضروب من الحجاج. ومن الضّروري التأكيد على أنّ هذه الاستجابات لاحقة للخطاب وليست آنية، وهذا ما يجعل متابعتها مختلفة عن الاستجابات الآنية المباشرة، فنحن نعاين خطابا على الخطاب وله ميزات مختلفة ومتعدّدة.

في هذا الإطار ترتسم في أذهاننا الأسئلة التالية:

- كيف استجاب الجمهور لخطاب التحقير والعنصرية الذي وظّفه الهندي عز الدين في خطابه؟
- ما هي طبيعة هذه الاستجابات؟
- ما هي الوسائل والأساليب التي استعملها هؤلاء في الردّ على هذا الخطاب السلطوي؟

1. في تقنين الحدث وتحديد كنه الموقف التواصلي:

يبدو أنّ الحديث عن استجابة جماهيرية لخطاب مُعيّن تقتضي من البداية وضع القارئ في إطار هذا الموقف التواصليّ، وهذا طبعًا من المبادئ التداوليّة (**Pragmatics**) في التواصل التي تعتني بالظّروف الحافة لإنتاج الخطاب وكيفية التّفاعل معه، حتى يتسنّى فهمه وبلورة تصوّر حوله، وبالعودة إلى أصل الحكاية يتبيّن لنا أنّ الحدث برمته مرتبط بمقالين

كتبهما الصحفي الهندي عزّ الدين[5] منتقدًا فيهما استعانة مبادرة شبابية "بست شاي[6] (بائعة شاي) لقصّ شريط افتتاح مركز للعناية المكثفة للأطفال بأحد مستشفيات الخرطوم الذي أنشأه الشباب بتبرعات وكلّفهم ملياري جنيه سوداني.

فحوى المقالين[7] معلنٌ عنها في عنوانين اختارهما الصحفي هما كالآتي:

- "عندما تصبح ست الشاي وزيرة صحة فقط لأغراض هذا الاحتفال"[8].
- العبثيون المتحدون.. مسلسلات الاحتماء بـ " ستات الشاي[9]!!"

والظّاهر من خلال العنوانين أنّهما مفعمان بالنقد السّاخر ويحملان في مضان السطور شروط الخطاب السلطويّ[10] الذي نحن بصدد تفكيكه. حيث يتبيّن لنا رفض الهندي لهذا الاختيار تحت ما أسماه مبدأ "تراتبية الاحترام" الذي ذكره في مقاله، فمن غير المعقول في نظره تفضيل "ست الشاي" على وزير الصّحة أو أي من الشّخصيات المرموقة ذات الصلة بالحدث، وعدّه عملاً عبثياً يعبّر عن حالة رفض شامل وعدم الاعتراف بالكبير، يقول متحدّثا عن صنيع الشباب: «إنما يعبّر بوضوح عن (حالة الرفض الشّامل) وعدم الاعتراف بأي كبير في هذا المجال وزير أو مدير، أو اختصاصي علم في مجال طب الأطفال، أو رمز اجتماعيّ ناشط في عمل الخير، أو أكبر المساهمين في بناء الغرفة موضوع الافتتاح، كل هؤلاء وغيرهم لا يمثلون شيئاً عند هذا الشباب (الرافض لكل شيء) أو هكذا بدا لي!! »[11]. وأكّد أنّها تمثّل ظاهرة خطيرة أكثر من كونها نموذجاً للوفاء والعرفان والتبجيل للشرائح الضعيفة. ووسمها بالحالة الهتافية الناعمة والصّاخبة وقال: «كان يمكن أن يُطلق اسمها على المركز كتكريم لاستضافتها أولئك الشباب وتقديم خدمات الشّاي والقهوة لهم". وختم مقاله قائلاً "الأمة التي تضع ست الشاي مكان وزير الصحة لا يمكن أن تتقدّم شبراً»[12].

وعلى هذا الأساس توالت الانتقادات في الفضاء الافتراضيّ والمواقع التواصليّة على اختلافها، هذا فضلاً عن الصحف الالكترونيّة والورقية مُعتبرة أنّ خطاب الصحفي فيه نوع من التّحقير والعنصريّة ويحمل طبقية دفينة. لتبدي أطراف أخرى تعاطفًا واحتفاءً، حيث تصدّر اسم ست الشاي "أم قسمة" غلاف الصحف السودانية في ذلك الوقت. وعليه فإنّنا نكون في إطار استجابات وتفاعلات تنتمي أساسا إلى زمرة الاستجابات الافتراضية المتكئة على

الوسائط التفاعليّة، وهذا المعطى مهمٌّ في تحديد كنه التواصل باعتبار أنّنا أمام ظروف تواصلية مغايرة للتواصل الفعلي، يقول عماد عبد اللطيف متحدّثا عن الوسائط الجديدة ودورها في التعليق والتحليل: «هي ممارسات كتابية يوميّة تعالج حزمة كبيرة من المواقف والموضوعات، وتُتداول في سياقات شديدة التبايُن، وتُنجِز وظائف متنوّعة. ويمكن القول إنّ الكتابة أصبحت نشاطًا شبه يومي لأعداد متزايدة من الأفراد العاديين في الفضاء العام في العالم العربي»[13].

بناءً على ما تقدّم نجد أنفسنا أمام وضع تواصلي (تداولي) تتوفّر فيه شروط التواصل اللغوي، وهذا ما يشرّع الباب لتفكيكه والبحث عن أطراف النزاع اللغوي فيه، ولعلّ المهم في نظرنا أنّنا أمام قائل (الهندي عزّ الدين) ينتمي إلى طبقة معينة، فهو صحفي ومن زمرة النظام ولديه كلّ إمكانات الخطاب، في مقابل (ست الشاي) المنتمية في العرف السوداني وغيره إلى طبقة الفقراء والمهمّشين لا سيما وأنّ هذا الصنف من النساء غالبيتهن من المطلقات والأرامل ومن ضاقت بهنّ سُبل العيش، والتي سنرى كيف تختزل وراءها خطابا آخر تعبّر عنه فئة (عامّة، وخاصة) مستجيبة إلى نداء القول البلاغيّ الرافض للخطاب العنصري والتحقيري. ولابدّ من الإشارة أنّ الاستجابة البليغة التي بناها هؤلاء وخاصة (العامة) ليس لها استراتجية قولية بقدر ما هي تعبير عفوي ينتمي إلى ما يُعرف في العلوم العرفانية الحديثة بالاستعارة التصورية التي ينتجها العقل تحت مقولة أنّ الذهن البشري استعاري بطبعه.

وحري بنا قبل مباشرة تفكيك الاستجابات أنّ نشير إلى أنّ الاستجابة لابدّ أن تُعايَن من زوايا نظر معينة حتى نتمكّن من استنباط فحواها والوقوف عند أسس تشكّلها. ونعتقد أنّ المدخل الأساسي لذلك ينقسم إلى محورين اثنين:

- ☒ المحور الأوّل: الخاصية اللغوية للاستجابة، وحينما نقول لغويّة فنحن نقصد كافة المستويات اللغوية (تركيب، تصريف، معجم) التي تساهم في بناء المعطى اللغويّ. وقد تذهب الاستجابة أحيانا إلى أبعد من ذلك من خلال النظر في المعطيات الصوتية وصولا

إلى محسنات البديع التي أصبحت تشكّل مرتكزا لغويا في التأثير وإحداث أثر في الواقع الفعلي.

- ☒ المحور الثاني: الخاصية التداولية[14]، وهي خاصية نابعة من روح التداول الذي ينصّ على دراسة اللغة أثناء الاستعمال والنظر في الظروف الحافة بإنتاج الخطاب ولاسيما العلاقات التي تحكم المتكلم بالمخاطب، «حيث لا يمكننا فهم الكلام دون أن نحيط بشروط إنتاجه وخاصة عنصري المتكلّم والمخاطَب».[15]

2. استجابة التّقابل وبناء الخطاب على الضدّ:

نعتقد أن تفكيك استجابة الجماهير لأي خطاب تخضع إلى استراتجية سواء أكانت هذه الاستجابة لغوية أو غير لغوية، تفسير ذلك أنّ الاستجابة اللغوية على سبيل المثال لابدّ أن تندرج في إطار تكوين استراتيجيّ يجعلها قابلة للانخراط في دائرة الاستجابة البليغة، فلا يمكن إطلاق العنان لأي قول لغوي وعدّه استجابة. في هذا الصدد فنحن نرى أن ولوج الاستجابة لغويا لابدّ أن يمرّ حتما عبر طرائق تشكّلها تركيبا ومعجمًا وصرفًا (اشتقاق، تصريف)، مرورا بتداولها (الخطاب) وصولاً عند محسّنها البديعي ودوره في بلورة الخطاب[16].

على هذا الأساس نبني رؤيتنا لتشكّل الاستجابة في مرحلة أولى من خلال الاعتماد على آلية التقابل التي وجدناها في أحد الخطابات المتفاعلة مع الخطاب التّحقيري للهندي عزّ الدين، وهو خطاب الفاتح جبرا الذي جاء ضمن مقاله المعنون بـ : "أمتنا حين قدّمت بائعة الشاي على رئيس الجمهورية قدّمت الطُهر على الفساد"[17]. وبعيدا عمّا تثيره التفريقات بين المقابلة والطباق[18] عند اللغويين والنقاد، فإنّنا نستعمل مصطلح التقابل هنا للحديث عن تضاد بين المصطلحات وما تحدثه هذه التقابلات والمتضادات من أثر في بناء الاستجابة البليغة المقاومة للخطاب السلطويّ، فبناء الخطاب على الضدّ يكشف مستور الآخر، ويساهم في فضح الخطاب وإخراجه بصورة أخرى.

لاشكّ في أنّ خطاب التراتبية المحترمة الذي أعلن عنه الهندي عزّ الدين في مقاله حول "ست الشّاي" قد استفز البعض، وخاصة حينما ختم مقاله بقوله: "الأمة التي تقدّم

ست الشاي على وزير الصّحة لن تتقدّم أبداً" في ربط عجيب بين تقدّم الأمم وهذه التراتبية المقيتة. هذا القول جعل الفاتح جبرا يبني ردّه واستجابته على المقابلات، يقول جبرا: «ليعلم الهندي عزّ الدين أنَّ أمتنا حين قدّمت أم قسمة بائعة الشاي على وزيري الصّحة الولائي والقومي وعلى رئيس الجمهورية نفسه فقد قدّمت الحقّ على الباطل، وقدّمت الطُهر على الفساد، وقدّمت المروءة على الخنوع، وقدّمت التواضع على الاستعلاء، وقدّمت حب الحياة على الموت، وقدّمت الصدق على الكذب، وقدّمت الوفاء على الخيانة»[19].

تثير هذه التّقابلات أو المتضادات (الحقّ-الباطل/ الطهر-الفساد/ المروءة، الخنوع/ التواضع-الاستعلاء/حب الحياة-الموت/الصدق-الكذب/الوفاء-الخيانة) بعدا خطابيا مهمّا، حيث يبدو القائل معتمدا أساسا على إنشاء استجابته في رده على خطاب التّحقير على فكرة الثنائيات دون أن يُصرّح مباشرة باسم الهندي، فهو ضمنيا يضع "ست الشاي" في خانة (الحق، الطهر، المروءة، التواضع، الحياة، الصدق، الوفاء) في حين يضع الطرف الآخر في خانة(الباطل، الفساد، الخنوع، الاستعلاء، الموت، الكذب، الخيانة). وهنا تنبني روح الاستجابة الرافضة لخطاب التحقير، حيث يُعلي الفاتح جبرا تحت سياسة المفاضلة من قيمة "ست الشاي" على حساب الهندي عزّ الدين، وهو إعلاء يختزل إعلاءً آخر هو إعلاء الحقّ على الباطل وإعلاء التواضع على الاستعلاء. فالمقابلة في أساسها وعمقها اللغويّ تحاول أن تضع في ذهن المخاطَب التقابل بين الأطراف، وهي بهذا تفضح شقا وترفع آخر، وهذا ما فعلته المقابلات بين ست الشاي والهندي عزّ الدين. وبناء عليه بُنيت الاستجابة بهذا المنطق لتعترض سبيل خطاب التحقير، وتحاول أن تقاومه وتردّه.

وما دمنا في إطار التقابلات يحلو لنا في هذا السياق أن نشير إلى ما أسماه البعض "**بلاغة المقارنة**"[20] التي تحاول أن تبني مقارنة بين طرفين من أجل إعلاء شأن طرفٍ والحطّ من شأن طرف آخر، ويهمنا في هذا الإطار الإشارة إلى استجابة بعضهم في مواقع التواصل الاجتماعيّ (فيس بوك) مع المقال الثاني للهندي عزّ الدين والذي وسمه بـ: "العبثيون المتحدون مسلسلات الاحتماء بستات الشاي"، مدرجا أبياتا شعرية تنتمي إلى حقل العامية السودانية قائلا:

أم قسمه البتكتب فيها يا السجمان. ...أحسن منك انت مراة وكتيرة احسان..
انت الشايفو. وضعو فوق طلعته جبان... وهي المسكينة تدفع لي شفاءء العيان.
مستغرب شريط الافتتاح ومراسمو.. ..كيفن تقطعو أم قسمه بتدين وتهاجمو.
أم قسمه البتكتب إنو هي مهازل. ...مهنته أعلي منك بي قيم ومنازل..
دعمها ديمه لي شارع الحوادث نازل. ....وأنت الرمه زيك للتطوع خازل

وبالعودة إلى فلسفة هذه الأبيات المكتوبة بالعامية السودانية يتبيّن لنا أنّ روح المقارنة فيها طاغية من خلال (المقارنة بين أم قسمة والهندي عز الدين) وكعادة المتفاعلين فإنّ تكوين الاستجابة يقوم على ضرب من التنصيف التقابلي الذي يقسّم الأفراد وفق خانات الإيجاب والسلب، فنجد أم قسمة تتصدر خانة الفعل الإيجابي في حين يندرج الهندي في خانة السلبي. ولمّا كانت الأشياء بأضدادها تُعْرَف فقد نشر إبراهيم الكرنسي مقالاً بعنوان أم قسمة والهندي عز الدين: بأضدادها تعرف الأشياء (إبراهيم الكرنسي، 2015).

3. الاستفهام البلاغي وبناء الاستجابة على المعاني الثواني مقصدا:

يعتبر الاستفهام من بين معاني الكلام الأكثر ورودا في سياقات القول، وذلك لأنّ الاستفهام يعادل الخبر في أهميته ضمن كلام العرب[21]، يوازيه في فلسفة القول والردّ، ولهذا اعتبر العرب قديما أنّ "الأخبار جوابات عن سؤال سائل"[22]، وتكمن أهمية الاستفهام بخلاف تواجده بكثرة في كلام العرب كونه له استراتجية حجاجية قوية في التأثير والإقناع، هذا فضلاً عن دوره في تحريك اعتقاد المخاطَب ودفعه إلى التفكير وأحيانا إلى فضح سلوكه وإرباكه. بهذا الاعتبار رصدنا جملة من الاستجابات التي قامت على فلسفة الاستفهام البلاغي، وقصدنا بالاستفهام البلاغي ما يؤديه الاستفهام في بنيته النحوية التركيبية من معان بلاغية تداولية (المعاني الثواني)، فالاستفهام في أصل معناه يفيد الاستخبار عن شيء يجهله المتكلم، ولكن هذا ليس دائما وإنما قد يسأل السائل رغبة في إنكار الفعل أو السخرية أو التهكم والتقريع، ولهذا فإنه يبني استفهامه على المعاني الثواني مقصدا.

عملا بما تقدّم نعثر في مقال الفاتح جبرا على الاستجابة البليغة القائمة على أسلوب الاستفهام والتي تواترت بكثرة عنده، وذلك لأنّ الاستفهام يمارس ضربا من الحجاج، ولاسيما حين يسأل السائل عن شيء يبدو معلوما في ذهنه واعتقاده، ولكن يحاول أن يُحرج به مخاطبه أو يفضح سلوكه، حيث تنزع فلسفة الاستفهام فعلاً كلاميا إلى بناء استجابة قوية، فهو لا يعبّر عن جهل القائل بقدر ما يحقّق أفعالا قولية لها أثر في الواقع الفعلي، فالاستفهامات التي أطلقها جبرا لم تكن مجرّد استفهام الباحث عن الحقيقة وإنما كانت لغايات التهكم والتقريع، يقول جبرا:

- **لماذا يقدّم شعبنا وزيراً فاسداً يباع الدواء الفاسد أمام عينيه في جميع صيدليات البلاد؟**
- **لماذا يقدّم شعبنا وزيراً فاسداً يعمل في مستشفياته مئات الأطباء المزورين الذين لا علاقة لهم بالمجال الطبي ؟**
- **لماذا يقدّم شعبنا وزيراً فاسداً عجز عن توفير الأكسجين والمحاليل الوريدية وشاش القطن؟**
- **لماذا يقدّم شعبنا وزيراً فاسداً كان بإمكانه أن يبني المئات من غرف العناية المركّزة مثل هذه التي بناها شباب شارع الحوادث لكنه مشغول ببناء عماراته ومستشفياته الخاصة التي تدر عليه دخلاً لو أنفق ثلثه في عمل الخير لكفى الوطن كلّه مؤونة العناية المركّزة؟**

فالمتمعن في هذه الاستفهامات يلاحظ أنّ جبرا يُحرج مخاطَبه، فهو لا ينتظر إجابة وإنّما يحقّق تهكمًا ضمنيا، تكشف عنه المادة المعجمية لخطاب الاستفهام، هذا فضلاً عن تعرية أفعال الآخر الذي ينتصر له الهندي عزّ الدّين، والطّريف أنَّ صاحب المقال يتعمّد تكرار كلمة "شعبنا" في ثوب من ملكية الانتماء، التي تخرج الآخر من هذه الدائرة.

بناء على هذه المعاني البلاغية التي يخرج لها الاستفهام نجد الكثير من الاستجابات الأخرى التي تدثرت برداء الاستفهام من أجل تبليغ مقاصد تداولية سياقية، يحاول من خلالها المتكلم وضع

مخاطبه في موقف محرج، ويمكن لنا أن نشير إلى ما كتبه راشد حسن خيري في شكل تساؤلات، بعنوان "ردا على سخافات الهندي"[23] قائلا: عندما يظن الديك بأن شروق الشمس مرتبط بصياحه!!!

بربك يا "هندي" ماذا تعني التراتبية وحفظ المقامات؟؟؟، هل تريد أن تؤسس وتبرّر لنظام الإقطاعية والسخرة و الطبقات ؟؟؟، أكانت الرئاسة تراتبيه ومن يرأسنا أتى به الشعب اختيار ورغبات؟؟؟، وحتى الوزراء هل يتم تعينهم بعد اجتياز امتحان الأخلاق و الصفات ؟؟؟

فالملاحظ في هذا الكون البلاغي القائم على الاستفهام الحجاجي يتفطن إلى استراتجية القائل الذي يتدرج في فضح ممارسة الهندي عز الدين الخطابية، فهو يهاجم خصمه بسيل من الأسئلة المنطقية التي انبنت أساسا على تقويض التراتبية التي نادى بها، وخاصة حين يضع الهندي في مواجهة مباشرة مع فكرة الديمقراطية والكيفية التي يتم بها تعيين الوزارء، فالقائل يعلم ضمنا أن الهندي من زمرة النظام ومدافع شرس على تواجده وفساده، فلهذا فهو يدخل منطقته ويقدّم له أسئلة من إطار تفاعله ليحرجه ويضعه موضع المتناقض مع نفسه وإخراجه في صورة لا يحسد عليها. لقد قام السؤال البلاغي هنا بفضح خطاب العنصرية والتحقير ومقاومته، والأهم من ذلك أنّه قوّضه من الداخل بحجج منطقية وسليمة دون ادّعاء أو مبالغة.

4. الردّ بالمثل: السّخرية في مواجهة السّخرية:

لقد سمحت لنا الاستجابات البليغة لخطاب التحقير عند الهندي عزّ الدين، من تبيّن ضروب تشكّلها من خلال التقابل والاستفهام، وسنحاول الآن التوقّف عند وجه آخر من وجوه تشكّل الاستجابة من خلال الخطاب الساخر، أو ما يُسميه البعض بلاغة السخرية(ironie)، حيث يعتبر أنّ السخرية «استراتجية حجاجية في الإقناع والتأثير من خلال النيل من الآخر وجعله مثالاً للضحك والاستهزاء»[24]. وهذا الرأي مهمٌّ في نظرنا باعتبار أنّ معيار بناء الاستجابة البليغة ليس محددا وإنما هو خاضع إلى انفعال الآخر وردود فعله، وهو ما يجعل تقييد الاستجابة البليغة أمرا ذا صعوبة منهجية.

سنبدأ من خطاب الفاتح جبرا الذي وقع تفكيك البعض منه. ولعلّ ما يثير الانتباه في استجابة الفاتح جبرا أنّه أسّس الردّ على الخطاب الساخر الذي يزعزع عرش الخطاب السلطوي، يقول جبرا في نهاية مقاله: إنّ أمتنا أمة راقية يتقدّمها أقزام ويرأس تحرير صحفها هنود أفلام!!!

والناظر في هذه الردّ يجد أنّ صاحبنا يوسّع دائرة السخرية من خلال استدعاء السلطة (الرئيس) لاسيما وأنّ الهندي يصنفونه مواليا للنظام الحاكم. ويضيف جبرا في سخريته حينما يوجّه نقده إلى الهندي مباشرة واضعا ناصية القول على رئاسة التحرير في إشارة له باعتباره رئيس تحرير صحيفة المجهر. وتكمن طرافة الخطاب الساخر هنا في النعت الموجّه للهندي (هنود أفلام) وهو نعت يُؤوَّل على وجه السخرية في استدعاء طريف للبطولات الخارقة من الأفلام الهندية التي توحي دائما بوجود مبالغات في تصوير الشَّيء، فلفظ "هنود" إشارة إلى الهندي عز الدين، أما أفلام فهي تلميح إلى جعجعة القول البالية في نظر جبرا. ومما يدعم كلامنا في هذا السياق عثورنا على استجابة أخرى، حيث يشير أحدهم قائلا: "ده فيلم هندي معلوم للجميع".

وانسجامًا مع فكرة الخطاب السَّاخر بنى عثمان محمّد حسن في موقع "سود أنيل" استجابته على عنوان طريف عنونه بـ :**الهندي عزّ الدين بما فيه ينضح ".. وصفحاتهم المراحيض!**[25]، وقد أشار في هذا المقال إلى أنّ ما يقوله الهندي عز الدين كذب، يقول: **و كلما كتب الهندي عزّ الدين " شهادتي لله!" فاعلم أنه يكذب و فرق شاسع بين شهادته لله و شهادة (هندوسة) للشعب السودان**. والمتمعن في هذه الاستجابة يتفطن إلى أنّ صاحبها بناها على مقارنة ضمنية قائمة على معطى ديني في تقابل بين الإسلام والهندوسية، وطبعا هنا الهندوسية كناية على الهندي عز الدّين. ويعتبر عمود "شهادتي لله" مساحة يكتب فيه الهندي عز الدين رأيه في كثير من المسائل.

5. استجابة التلاعب بالكلمات:

من النافلة في القول التصريح بأنّ الحديث عن مقاومة الخطاب السلطويّ في مواقع التواصل الاجتماعي أو في الصحف الالكترونية والورقية لا تتوفر فيه شروط الخطاب المباشر، وإنما يعتمد أساسا على المكتوب. هذا الاعتبار المنهجي مهمٌ في نظرنا لأننا سنجد أنفسنا نتعامل مع استجابات مختلفة من حيث الشكل والتركيب، فالمستجيب ليس بالضرورة من المنتمين إلى أصحاب ناصية القول، فقد يكون من عامّة الناس ويمارس استجابته بشكل عفوي، علاوة على ذلك أنه يصوغ استجابته وراء شاشة ولا نعلم عن ظروف إنتاج الخطاب شيئا سوى بعض الجمل المكتوبة. غير أنّ هذا الإقرار لا ينفي تسّرب الاستجابة في مفاصل المعطى اللغوي المقدّم، فالعامي قد يُنتج استجابة عفوية ولكنها تخضع إلى شروط اللغة وإن كانت غير فصيحة.

من هذا المنطلق نعثر على جملة من استجابات تحاول أن تقاوم الخطاب السلطوي، من خلال التلاعب بالكلمات، وهذا وجه آخر من وجوه تشكّل الاستجابة البليغة، إذْ تمسّ فلسفة الاستجابة كافة مستويات البناء اللغوي، حيث نقف هنا على المستوى اللفظي وكيف يمكّن التلاعب بالألفاظ والكلمات من إحداث الاستجابة بليغة مقاومة. لتأكيد ذلك يعنون أحدهم في مواقع التواصل الاجتماعي مقاله: **"المهراجا[26] الهندي عزّ الدّين يُهّرج على مجهره ويجهر".**

والطّريف في فلسفة العنوان أنّها استجابة بليغة قائمة على منطق معين، وتحكمها خلفية فكرية، حيث نسج القائل استجابته على تصوّر التلاعب بالكلمات، إذ اختار عبارات (المهراجا، يهرّج، مجهره، يجهر). والملاحظ في هذا النسق اللفظي يجد أنّ كلّ كلمة فيه تؤدي معنى بحيث يحقّق النظم المعنى الكليّ (السخرية والتهكم).

بالنَّظر إلى هذه العبارات نجد أنّ المتكلّم بدأ عنونة مقاله بلفظ **(المهراجا)**، وهذا المصطلح كما أشرنا استدعاه القائل من الثقافة الهنديّة انسجامًا مع اسم القائل (الهندي عزّ الدين) من جهة وانسجاما مع النسق اللفظيّ (الجناس) في بناء الجملة. أمّا اللفظ الثاني فهو فعل(يهرّج)، وهذا الفعل في حدّ ذاته محمّل بدلالات السخرية، حيث ينتمي إلى دائرة (**الهرج**)، وينتمي أيضا إلى دائرة الفعل المضارع المتجدّد في دلالة على تجدد فعل التهريج. أما (**مجهره**) فهي

إحالة إلى صحيفة المجهر التي يشرف عليها، في حين يأتي الفعل (**يجهر**) في آخر الجملة تعبيرا عن الجهر، ويمكن أن نؤول هذا الاختيار بأن الجهر ينتمي إلى حقل الجهر بالسوء استنادا إلى قوله تعالى: ﴿*لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ*﴾[27].

وعليه فإنّ هذه الاستجابة قد بُنيت لغويا من أجل تحقيق قصد السخرية والتهكم، وهي بالتالي تنخرط في تقويض خطاب العنصرية والتحقير الذي أنشأه الهندي حول ست الشاي. زدْ على ذلك نلاحظ أنّ الاستجابة بُنيت على ما حقّقه تقارب الحروف تحت ما يُسمى "**موسيقى الحرف**"، فحرف الهاء الذي تكرّر بكثرة في هذه الجملة البسيطة يحدث أثرا نفسيا في المخاطَب ويحقّق دلالة معينة. وعلى هذا الأساس كانت الاستجابة بليغةً وحقّقت أدنى شروطها من خلال التقريع بصاحب الخطاب العنصري ومحاولة الكشف عن تهافت خطابه العنصري التحقيري. ومن هنا شكّلت السخرية سبيلا لمقاومة الخطاب التحقيري.

أما إذا انتقلنا إلى روح المقال وأسسه التي بُني عليها سنجد أنّ القائل يهندس استجابته على السخرية مطلبًا فنيا يحقّق المطلوب، وقد قامت في هذا المقال على فكرة الاستغراب مدخلاً، يقول: **أنا لا أستغرب أن يتحكموا حتى فى خصوصياتنا... لا أستبعد أن يأتى فيه يوما ويكونون هم من يتولوا عقد قراننا على زوجاتنا.. ولا أستغرب أن يفرضوا علينا أسماء على مواليدنا... ولا أستغرب أن تكون فى دولتهم هويتان... هوية لهم كمواطنين من الدرجة الأولى.. وهوية لنا كمواطنين من الدرجات التى تليهم**

6. الحجاج المضاد وكسر شوكة الخصم:

لاشكّ أنّ بيئة النقاش المضاد للخطاب السلطوي عادة ما تكون حادّة، وهذا يعلّل باعتبار وجود اندفاع عاطفيّ في التعامل مع هذا النوع من الخطاب، أضف إلى ذلك أنّ مساحة الكتابة في الفضاءات التواصليّة والافتراضيّة وفي المواقع الالكترونية فيها من الحرية ما يسمح باستعمال كافة صنوف القول وحتى المارقة على النسق الثقافيّ الأخلاقيّ عامّة لاسيما وأنّ الكثير يستعمل أسماء وألقاب افتراضيّة (وهمية) ليس لها وجود فعلي في واقع الحال، وإنّما هي ألقاب تتخفى وراءها أطراف، ورغم ذلك فهي مدعاة للتساؤل والتّفكيك والتحليل. وقد نذهب مذهبًا

بعيدا في القول معتبرين أنّ المتعاطين ورواد مواقع التواصل الاجتماعيّ (وخاصة من الطبقة المهمشة والتي تفتقر لوسائل الردّ الحرّ) يمارسون نوعا من التفريغ النفسيّ الذي يجد في اللغة ملاذا لكسر شوكة الطرف المقابل الذي يمارس خطابا تحقيريا وعنصريا، بعد أن نُزعت منهم كافة الصلاحيات الفعليّة للمواجهة وإبداء الرأي.

عملاً بما تقدّم نتوقّف عند استجابة الحجاج المضاد Counter-argumentation، وهو حجاج يحاول أن يقدّم حجة الآخر ومن ثمة تقويضها وردّها بحجج منطقية، وهنا يمكن لنا أن نشير إلى مقال "حسن الجزولي"، عن صحيفة الميدان، في ردّه على الهندي عزّ الدين، يقول: «فإن صدق عن حق وحقيقة السيد كاتب المقال في ما كتب حول التراتبية فإنّنا نتساءل متماهين مع فرضياته بضرورة احترام هذه التراتبية وعدم القفز فوقها (بالزانة كانت أو التّمكين أو قلّ التدليس) بحيث :- ما الذي يجعل صغار العاملين (حديثاً) في الحقل الصحفي رؤساء مجالس إدارات ورؤساء تحرير يجلسون على المقاعد الوثيرة داخل المكاتب المكندشة، بينما المخضرمين من شيوخ المهنة الصحفية والمقتدرين في الكتابة والتحليل الرصين يتم إقصاؤهم بعيداً عن ساحات (قص الشريط الصحفي) من أمثال مرتضى الغالي، فيصل محمد صالح، الحاج وراق، أمل هباني، لبنى حسين، عبد الله عبيد، ميرغني حسن علي، أبو بكر الأمين، رشا عوض وغيرهم وغيرهن؟. نحن نسأل وعلى جمهورية (الهند) أن تجيب.!»

يكشف ردّ الجزولي على الهندي وجود تقنية الحجاج المضاد، حيث يبدأ الجزولي بالتماهي مع فرضية الهندي[28] في التراتبية تحت غطاء القول الساخر، موجّها له مباشرة حججا دامغة في كيفية التعاطي مع منطق التراتبية محاولا كسْر هذا الهرم بحجج واقعية تأنس لها كلّ عقول القراء. وتبرز قوة الحجاج المضاد حين يعلن الجزولي في آخر قوله تحديا في شكل استفهام قائلا: **(نحن نسأل وعلى جمهورية (الهند) أن تجيب)**. ومن المفيد التنبيه إلى أن استعمال الحجاج المضاد يكثر في سياقات التواصل الاجتماعي[29] وذلك لأنّ القائل يبدو في إطار تعبير أكثر حرية من المواجهة المباشرة، وهذا ما يؤكد على أنّ المواقع الالكترونية قد أضحت بديلا حقيقيا، ومجالا رحبا تعبر فيه الذوات على مقاصدها وأغراضها.

وما دمنا في إطار الحجاج سنحاول في هذا السياق من القول أن نلحق به ضربا من الاستجابات التي حاولت أن تردّ خطاب التحقير والعنصرية، ويهمنا هنا أن نزيح اللثام على طبيعة هذه الاستجابات، حيث وجدنا منها ما ينتمي إلى استحضار حكايات من التاريخ تلميحا كضرب من التناص التاريخي، ومنها ما يتركّب على فلسفة المثل، ومنها ما يجد مشروعيته في الدين، ولكن الثابت في الأخير أنها تنتمي إلى فكرة المحاججة، فخذ على سبيل المثال ردّ أحد المتفاعلين قائلا: "**بينما الحجاج يطوفون بالكعبة ويغرفون الماء من بئر زمزم قام أعرابي فحسر عن ثوبه، ثم بال في البئر والناس ينظرون، فما كان من الحجاج إلا أن انهالوا عليه بالضرب حتى كاد يموت، وخلّصه الحرس منهم، وجاؤوا به إلى والي مكة، فقال له: قبّحك الله، لِمَ فعلت هذا؟ قال الأعرابي: حتى يعرفني الناس، يقولون: هذا فلان الذي بال في بئر زمزم!!.**

والفاحص في هذا الضرب من الاستجابة يتبين روح المثل والحكاية قائمة، فهو يحاول أن يمثّل بقصة هذا الأعرابي لفضح خطاب الهندي وسلوكه، وتكمن أهمية هذه الاستجابة في كونها تُعري السلوك العنصري التحقيري وبحثه عن الشهرة من خلال سرد قصة تاريخية تبسط الصورة وتكشفها للقارئ بأسلوب شيق وطريف، ولعمري هذا التمثيل له تأثير في ذهن المتلقي.

في حين يذهب أحد المعلقين إلى بناء منطق حجاجي ديني يردّ به رؤية وعنصرية الصحفي، حيث يستنجد« بقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٌ**﴾[30]. **صدق الله العظيم، لو المدعو الهندي كان في زمن قريش بالتراتيبية بتاعتو دي كان طوالي ينادي أبو سفيان بن حرب نبيا لأنّ نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم كان راعي غنم**". فمن خلال هذه الحجة أنّ صاحبها يحاول أن يقوّض التراتبية المقيتة التي استعملها الصحفي في تبرير قوله، من خلال وضع ميزان تفكيره محك النقد والتفكيك، وذلك بضرب حجة عقلية استمد مشروعيتها من المعطى الديني الذي لا يفاضل بين الناس بمنطق التراتبية وإنما بالعدل والإحسان والتقوى. وتبدو هذه الحجة منطقية جدا وقادرة على التصدي ومقاومة هذا نوع من أمراض الخطاب.

أما الاستجابة القائمة على ما يمكن أن نسميه بلاغة التشبيه فقد كانت حاضرة بقوة في ردود أفعال الجمهور، حيث كتب زاهر بخيت في موقع منتديات الركوبة مقالاً طريفا بعنوان "لا تلوموا الهندي"[31] ، قائلا: **هل سمعتم يوماً بالبوم البعجبوا الخراب...؟. كعادة هذا الطائر لا يعيش ويستمتع إلا فى الأماكن المهجورة الخربة انتقلت منه هذه العادة إلى بعضنا ممن عُرفوا بتبخيس غيرهم وأعمالهم مهما علت وتمجيد ذواتهم وأعمالهم وإن تواضعت.** وهي استجابة انطلقت من عرض عادات طائر البوم السيئة وصولا إلى تأثيرها في بني البشر، وهذا الضرب من التشبيه يحاول أن يضع الهندي عز الدين وعاداته الكتابية التي تحط من همم الناس وتزدريهم في مرتبة هذا الطائر. فالتمثيل هنا يقرّب الصورة ويحاول أن يوازي بين الأشياء حسنا وقبحا.

7. الكاريكاتير وسلطة الصورة:

تعتبر استجابة الكاريكاتير من أهم الاستجابات التي يمكن أن يعثر عليها الباحث في بلاغة الجمهور وذلك لأنّ الكثير من الجماهير المعقبة على أمراض الخطاب، تتجه إلى تفعيل الصورة أو الكاريكاتير لاعتقاد أنه الأكثر قدرة على التعبير في اتجاهات متعدّدة، فالكاريكاتير يختزل الكثير من الرسائل دفعة واحدة، وأحيانا يتقاطع فيها الهزل والإضحاك بالنقد.

في البدء لابدّ من الإشارة إلى أنّ الكاريكاتير هو معطى يوازي المعطى اللغويّ اللسانيّ، فهو يحاول أن يمارس سلطة دلالية معينة، ويدرجه البعض في خانة سلطة الصورة التي تفوق سلطة الكلام، حيث يحاول أن يصل بالمتلقي إلى المعنى المقصود من خلال بلاغة الصورة الكاشفة التي تخاطب الحواس وتحوّل الصعب سهلاً. وبالتالي فالكاريكاتير ينهض بأشكال تواصلية متعدّدة ويسعى إلى التأثير في المتلقى وإفهامه. وعلى هذا الأساس فلا غرابة من تواتر استجابة الكاريكاتير في دوائر بلاغة الجمهور وذلك لأنّ تفعيل هذه الخاصية غير اللغوية أعمق في التأثير وأيسر في الإنجاز التأثيري والإقناعي، «كما يعمل على تلبية رغبات القراء بمختلف مستوياتهم اللغوية والثقافية، ويفتح لهم باب المشاركة للوصول للفكرة المقصودة»[32].

تبدو هذه الإشارة المقتضبة إلى الكاريكاتير ودوره في بناء الاستجابة مجرّد إيقاظ لأفاق الفهم والتأويل من أجل التعويل عليها في دراسات أخرى، فالكايكاتير يمثّل مجال بحث مهم ورافد إجرائي في بلاغة الجمهور والكيفيات التي يمكن من خلالها التعرّض إلى الاستجابات البليغة المقاومة للخطاب السلطوي.

خاتمة:

أردنا بهذا المقال أن نقف عند ضرب من ضروب الخطاب السلطوي، وهو الخطاب الصحفي المكتوب، وقد كان مدخلنا في تفكيك هذا الخطاب قائم على مرتكزات بلاغة الجمهور بوصفها بلاغة تحاول أن تبني وعيا بلاغيا لدى الجماهير حتى تقاوم مثل هذا النوع من الخطابات التي تمارس عنصرية وتحقيرا على الطبقات المهمشة. ولما كان مجال البحث في هذا النوع من الخطابات متشعب ومتعدد فإننا اخترنا خطابا نتكئ عليه في فهم الاستجابة البليغة، ونبرر ذلك بكون هذا الخطاب وجد صدى واسعا على مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا خطاب هو للصحفي السوداني الهندي عز الدين حول ست الشاي.

وقد تبيّن لنا في كل ذلك أن الجمهور المتلقي قد استطاع بما يملك من أدوات تقويض هذا الخطاب المعادي وردّه، وقد تنوعت هذه الاستجابات كالتالي:

- الاستجابة بالتقابل، وهي استجابة تقوم على فلسفة معينة وهي بناء تقابلات بين الطرفين، وذلك لوضع كل في مرتبته، وقد كشفت لنا هذه الاستجابة على حدّة الصراع القائم بين الخطاب العنصري والخطاب المضاد له.
- استجابة القائمة على الحجاج المضاد، وهي استجابة تكشف عن دور الحجاج في مثل هذه المواقف التواصلية.
- استجابة الكاريكاتير وصورة التي حاولت بناء ردّ هزلي يكشف عن تهاوي خطاب العنصري والتراتيبي
- الاستجابة الاستفهام البلاغي، حيث تبيّن لنا أن السؤال يمارس ضربا من المحاججة من خلال فضح سلوك الأخر وخاصة ما تحقّق منه من أعمال بلاغية كالتهكم والتقريع، وهذا ربما يفتح الربط بين أفعال الكلام وبلاغة الجمهور الذي يختزل ربط أكبر بين التداولية وبلاغة الجمهور.
- الاستجابة من خلال التلاعب بالكلمات، التي مست جانب من الجوانب اللغوية (البديع)، فهي استجابة تتجه نحو تعزيز النظر في علم البديع وتوسيع دائرة فهمه وخاصة في علاقة ببلاغة الجمهور.
- يوصي المقال بالنظر في هذا النوع من الخطابات (المقال الصحفي) ومحاولة دراسته وفق طروحات بلاغة الجمهور، لاسيما وأنّ هذا الضرب من الخطاب سريع التداول ودقيق في مادته اللغوية بحيث يمثل خطرا معرفيا في التأثير والإقناع.[33]

الهوامش

[1] بلاغة الجمهور فرعٌ بلاغيٌّ يمكن إدراجه في ما يُعرف بالبلاغة الجديدة، ويعود تأسيس هذا الفرع البلاغيّ إلى الباحث المصري عماد عبد اللطيف الذي بدأ الاشتغال عليه من سنة 2005 حين تفطّن إلى فكرة بلاغة المخاطَب، وتقوم فكرة هذه البلاغة على النَّظر في استجابات الجمهور وتفاعلاتهم مع الخطاب السلطويّ سواء أكان مكتوبا أم مباشرا أو عبر وسائط غير علاماتية. وتهدف هذه البلاغة إلى تمكين المخاطَب من آليات تفكيك الخطابات السلطويّة ومقاومتها، وهو توجّه جاء لتطوير البلاغة والتأسيس لفكرة أخلقتها وجعلها أداة للتعايش والتسامح عوض السيطرة والفرض والتحكم، لاسيما وأنها تسعى إلى فضح "أمراض الخطاب" من عنصرية وتحقير وتنمر...إلخ، وهذا الشّيء يساهم في بناء وعي جديد يقلب دائرة الحكم البلاغي من المتكلم إلى المخاطَب.

[2] سعيد بكار، في مفهوم بلاغة الجمهور، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صدّيقي، شهريار العراق، ط 1، 2017، ص 73.

[3] الاستجابة البليغة مصطلحٌ يُدرج في خانة المصطلحات البلاغية الحديثة ضمن حقل بلاغة الجمهور، وقد ابتدع هذا المصطلح الباحث المؤسس لهذا الفرع عماد عبد اللطيف. (راجع: عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن السلطة ودور المثقف، جامعة القاهرة، 2005، ص 7-36).

[4] عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، 2005، ص 7-36.

[5] هو صحفي وكاتب سوداني له عدّة مقالات في الشأن الثقافي والسياسي.

[6] يُفْصِح التركيب الإضافي (ست الشاي) على المعنى المباشر لهذا اللفظ، فهو يُطلق على المرأة السودانية التي تبيع الشاي، وقد علّل البعض أنّ مصطلح "ست" ربما يكون دخل من اللهجة المصرية فترة الاحتكاك التاريخي بين البلدين أي بمعنى المرأة، أمّا الشاي هنا فيذكر على إطلاقه محتويا معه ما تبيعه من مشروبات محلية أخرى كالقهوة والكركدي. وليس هذا التغليب في مصطلح الشاي عنوانا لهذه المهنة محضّ مصادفة إنّما لما للشاي عند السودانيين من حفاوة خاصة عن باقي المشروبات. ونحن إذْ نؤكّد على روح التسمية، فمن باب أنّ "ست الشاي" تنتمي إلى طبقة الكادحين والمهمّشين، وهذا ما يُعطي مشروعيّة التقابل بين صحفي يمارس خطابا سلطويا وينتمي إلى طبقة السلطة في مقابل امرأة تنتمي إلى طبقة الكادحين من عامّة الشعب.

[7] ننوه من البداية إلى أنّ المقالات والاستجابات التي نشتغل عليها كلّها الكترونية وموجود على صفحات ومواقع افتراضيّة، ولهذا فإنّ التعامل معها من ناحية التوثيق سيكون مختلفا، حيث تكتفي بذكر اسم الكاتب والتاريخ والموقع، هذا فضلاً عن اعتماد الخطاب العامي الذي يعتمد أساسا على العامية السودانية.

[8] للعودة إلى المقال انظر الهندي انظر الهندي عزّ الدين، عندما تصبح (ست الشاي) وزيرة صحة فقط لأغراض، منشور بموقع النيلين،2015/05/20 https://www.alnilin.com/12678067.htm

[9] الهندي عز الدين، ضمن صحيفة المجهر السياسي، نشر في يوم 2015/05/21.

[10] الخطاب السلطويّ هو الخطاب الذي يمارس ضروب العنصريّة والقهر والتحقير أو الكراهية أو غيرها مما أطلق عليه الباحث عماد عبد اللطيف "أمراض الخطاب". ولكن لابدّ من الإشارة - ومن باب الأمانة التأويلية التي راودت فكرنا- أنّ هذين المقالين قد بُني فيما نرى على الضمني في القول أي أنّ الكاتب قد لا يكون مُسْتهدِفا لست الشاي مباشرة بقدر ما يوجّه طعونا للسلوك التي تنتهجه الجماعات والأفراد في متاجرة بهذه الفئة. غير أنّ حدوث هذا الكم الهائل من الاستجابات يفترض أيضا من باب الموضوعيّة في القول أنّ الرجل قد مارس خطابا عنصريا وتحقيريا مادام قد أفاض مقاله حبرا ورودا تقتضي النظر فيها وتحليلها واستنباط ما تزخر به من مضامين تؤكّد بلاغة الجمهور على التوقّف عندها وفهم كنهها في بناء بلاغة جديدة تُعلي من قيمة المخاطَب، وتطمح إلى بناء وعيّ بلاغيّ جديد يقلب كفة الفعل اللغوي ويبني تصورا جديدا قائما على فكرة أخلقة البلاغة وجعلها وسيلة من وسائل البناء الحقّ.

[11] الهندي عز الدين، ضمن صحيفة المجهر السياسي، نشر في يوم 2015/05/21.

[12] المرجع السّابق.

[13] عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة، مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة عمان- الأردن، ط 1، 2021، ص 435.

[14] تمثل التداولية رافدا نظريا لبلاغة الجمهور لاسيما وأنها تنصّ على دراسة العلاقات التي تربط اللغة بمستعملها وتؤكّد على النشاط التداولي في إنتاج الخطاب(المتكلم المخاطب، السياق، المقام)، وهذا مهمٌّ بالنسبة إلى حقل بلاغة الجمهور وخاصة حين يتمثّل المخاطب أسس الخطاب والثغرات التي يمكن أن يبطنها المتكلم في خطابه، أضف إلى ذلك أنّ التداولية عامة قد فتحت المجال إلى دراسة التعاون التخاطبي والتأدب وشروط نجاحه وفشله، زدْ على ذلك الاستلزام والافتراض المسبق، وهي مهمة بوصفها آليات عمل تداولي تساعد على تفكيك الخطابات ومنها خطاب الجماهير.

[15] Leech.G. The principles of pragmatics, 198 , p4. 9

[16] نشير هنا إلى أنّ علم البديع لم يعدْ مع توجّهات البلاغة الجديدة في صورته التقليدية النمطية بوصفها مُحسنا بديعيا للكلام وإنّما ارتقى إلى أدوار أخرى في بناء الخطاب، ولعلّ أهمها الحجاج، (انظر: عاشوري يمينية، عبد العليم بوفاتح، البعد الحجاجي للبديع في ضوء البلاغة الجديدة، دراسة في خطاب الرسائل العباسية، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، مج 14، العدد 2،الجزائر، 2021). وفي هذا الإطار العام وفي سياق الأدوار التي يلعبها البديع نتخذ نحن المقابلة أسلوبا في بناء الاستجابة البليغة لاسيما وأنّ الاستجابة خاضعة إلى منطق بناء الخطاب المضاد الذي يقوّض خطابا آخر.

[17] يمكن العودة إلى المقال ضمن موقع التغيير رهان على الشعب، الفاتح جبرا بعنوان: أمتنا حين قدمت بائعة الشاي على رئيس الجمهورية قدمت الطهر على الفساد، 2015/05/23.

https://www.altaghyeer.info/ar/2015/05/23/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA%D8%AD-%D8%AC%D8%A8%D8%B1%D8%A7-%D8%A3%D9%85%D8%AA%D9%86%D8%A7-%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D9%82%D8%AF%D9%85%D8%AA-%D8%A8%D8%A7%D8%A6%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D9%8A/

[18] يثير هذا الاختلاف الكثير من الإشكاليات لهذا ابتعدنا عن تحديده بما لا يخدم غرضنا الأساسي في المقال، ونشير إلى أنّ البعض جعل المقابلة والطباق نوعاً واحداً ، كالعلويّ وابن الأثير والسيوطي، بل إنّ العلوي وابن الأثير لم يُحبّذا اسم الطباق واقترحا أنْ يُسمّى هذا النوع البلاغي مقابلة.

[19] المرجع السّابق.

[20] للتوسّع في هذه البلاغة يمكن العودة إلى:

- محمّد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، منشورات كنوز المعرفة، ط1 ، 2015، ص 277.
- عبد الوهاب صدّيقي، بلاغة الجمهور والخطاب السياسي المغربي المعاصر في الفضاء الرقمي، دراسة في أنماط الاستجابات وبنيتها الحجاجية، قانون المالية 2016 نموذجا، ضمن كتاب بلاغة الجمهور،

مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صدّيقي،شهريار، بغداد، ط1، 2017، ص 352.

[21] هناك اختلاف في الآراء حول أسبقية الاستفهام على الخبر والعكس، ويهمنا في هذا الإطار أن نشير إلى أن أركيوني تعتبر أن الاستفهام سابق للخبر وتستدل بذلك بقصة الطفل الصغير الذي يكثر من الأسئلة بدافع الجهل، وتكون الاستفهامات هي الملاذ الوحيد الذي يربطه بالعالم الخارجي. انظر:

Kerbart- Orecchioni, Catherine, l'acte des question et l'acte d'assertion, Presses universitaire de Lyon. 1991 ,9.

[22] هذا التصور موجود في كتب النحاة، انظر: سيبويه، هامش الكتاب، ج 3، ص 114، والمبرد، المقتضب، ج 4، ص 357.

[23] يمكن العودة إلى الأبيات في الموقع التالي:
http://www.sudaneseoffline.net/forums/showthread.php?p=581864

[24] عبد الوهاب صدّيقي، السخرية في الخطاب اللساني الحديث، أبحاث في الفكاهة والسخرية، منشورات جامعة ابن زهر أكادير، دار أبي رقراق الرباط، ص 127.

[25] عثمان محمّد حسن، الهندي عز الدين بما فيه ينضح...وصفحاتهم المراحيض**!، ضمن موقع** سود أنيل، 2015/05/23. يمكن العودة إلى المقال من خلال هذا الرابط:
https://sudanile.com/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF%D9%8A-%D8%B9%D8%B2%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%A8%D9%85%D8%A7-%D9%81%D9%8A%D9%87-%D9%8A%D9%86%D8%B6%D8%AD-%D9%88%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A7%D8%AA%D9%87%D9%85/

[26] مصطلح "المهراجا" هو لقب يُطْلَق على الحكام الهندوس الذين يحكمون في مناطق واسعة من الهند. وقد وظّفه القائل تحقيقا لغرض السخرية.

[27] النساء، الآية 148.

[28] التماهي مع فرضية القائل ثم الانقلاب عليها ومحاولة تفنيدها هي ضرب من ضروب الاستجابة، وقد أشار عماد عبد اللطيف استنادا إلى أحمد مطلوب إلى هذه الظاهرة، وهي ما تُعرف بظاهرة "مجاراة الخصم" (انظر عماد عبد الطيف، ماذا تقدّم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صدّيقي،شهريار، بغداد، ط1، 2017، ص 23).

[29] في هذا الإطار يمكن العودة إلى عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة، مسارات ومقاربات، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، ط2، 2020، ص 575.

[30] الزخرف، الآية 31.

[31] المقال موجود في هذا الرابط:

https://vb.alrakoba.net/threads/%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D9%84%D9%88%D9%85%D9%88%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF%D9%89.151563/

[32] فاطمة محمّد العليمات، مقاربات في تحليل الخطاب الكاريكاتيري، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد 1، 2017، ص 22.

المراجع:

- العليمات (فاطمة محمّد)، مقاربات في تحليل الخطاب الكاريكاتيري، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد 1، 2017.
- مشبال (محمّد) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، منشورات كنوز المعرفة، ط1، 2015.
- صدّيقي (عبد الوهاب) ، بلاغة الجمهور والخطاب السياسي المغربي المعاصر في الفضاء الرقمي، دراسة في أنماط الاستجابات وبنيتها الحجاجية، قانون المالية 2016 نموذجا، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صدّيقي،شهريار، بغداد، ط1، 2017.
- صدّيقي (عبد الوهاب)، السخرية في الخطاب اللساني الحديث، أبحاث في الفكاهة والسخرية، منشورات جامعة ابن زهر أكادير، دار أبي رقراق الرباط.
- حسن (عثمان محمّد)، الهندي عز الدين بما فيه ينضح...وصفحاتهم المراحيض!، **ضمن موقع** سود أنيل، 2015/05/23.

https://sudanile.com/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF%D9%8A-%D8%B9%D8%B2%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%A8%D9%85%D8%A7-%D9%81%D9%8A%D9%87-%D9%8A%D9%86%D8%B6%D8%AD-%D9%88%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A7%D8%AA%D9%87%D9%85/

- عز الدين (الهندي)، عندما تصبح (ست الشاي) وزيرة صحة فقط لأغراض، منشور بموقع النيلين،2015/05/20 https://www.alnilin.com/12678067.htm
- عبد اللطيف (عماد)، "بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن السلطة ودور المثقف، جامعة القاهرة، 2005، ص 7- 36، ص 21-23).
- عبد اللطيف (عماد)، البلاغة العربية الجديدة، مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة عمان- الأردن، ط 1، 2021.

- عبد اللطيف (عماد)، ماذا تقدّم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صدّيقي،شهريار، بغداد، ط1، 2017.
- الكرسني (إبراهيم)، أم قسمة .. والهندي عز الدين: بأضدادها تعرف الأشياء، 22 مايو 2015.

https://sudanile.com/%D8%A3%D9%85-%D9%82%D8%B3%D9%85%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF%D9%8A-%D8%B9%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%A8%D8%A3%D8%B6%D8%AF%D8%A7%D8%AF%D9%87%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1/

- عاشوري يمينية، عبد العليم بوفاتح، البعد الحجاجي للبديع في ضوء البلاغة الجديدة، دراسة في خطاب الرسائل العباسية، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، مج14، العدد 2،الجزائر، 2021.
- بكار (سعيد) ، في مفهوم بلاغة الجمهور، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صدّيقي، شهريار العراق، ط 1، 2017.
- Leech.G. The principles of pragmatics, 198.
- **Kerbart**- Orecchioni, Catherine, l'acte des question et l'acte d'assertion, Presses universitaire de Lyon. 1991.